

# كِتَابُ الْأَعْيَابِ

## لِإِسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ

وَهُوَ مَوْثِقُ الدَّوْلَةِ أَبُو مُظَفَّرِ إِسَامَةَ بْنِ مُرْشِدِ الْكِنَانِيِّ الشَّيْزُرِيِّ

حَدَّثَهُ

فَيْدِي حَمِي، د. ف.

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

# مكتبة الثقافة العربية

المركز الرئيسي: ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة

فرع: ١٤ ميدان العتبة، القاهرة

تليفون: ٩٣٦٢٧٧-٩٤٢٦٢٠



ENTRANCE TO THE CASTLE OF SHAYZAR

*View taken from east of the Castle, showing the remains of the Bridge and the Orontes encircling the Castle on almost three sides.*

قلعة شيزر كما هي اليوم . آثار الجسر القديم ظاهرة على شاطئه الماسوي



# محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المحرّر

## الباب الاول

### حروب واسفار

- |     |   |
|-----|---|
| ١   | ١ - قتال الافرنج                            |
| ٤   | ٢ - أسامة في دمشق ١١٣٨ - ١١٤٤ م             |
| ٦   | ٣ - أسامة في مصر ١١٤٤ - ١١٥٤ م              |
| ٣٤  | ٤ - زيارة أسامة الثانية لدمشق ١١٥٤ - ١١٦٤ م |
| ٣٦  | ٥ - معارك مع الافرنج ومع المسلمين           |
| ١٠٣ | ٦ - مكافحة الاسود وسائر الضواري             |
| ١١٣ | ٧ - اختبارات حربيّة                         |
| ١٣٢ | ٨ - طبائع الافرنج و اخلاقهم                 |
| ١٤٢ | ٩ - اختبارات وملاحظات                       |

## الباب الثاني

### نكت ونوادير

- |     |                       |
|-----|-----------------------|
| ١٧٠ | ١ - أخبار الصالحين    |
| ١٨١ | ٢ - الشفاء بطرق غريبة |

## الباب الثالث

### اخبار الصيد

١٩٢

١ - الصيد في سورية والجزيرة ومصر

١٩٩

٢ - والد أسامة صياداً

٢٢٧

آخر الكتاب

٢٢٩

الفهرس

صدر الكتاب

١١، ب ب

بين ص ١٦٦ و ١٦٧

آخر الكتاب

رسم قلعة شيزر

صحيفتان من المخطوطة

خريطة شيزر ونواحيها

خريطة سورية ومصر والعراق

## مقدمة المحرر

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كلارمونت خطابه المحسوب بحق وباعتبار نتائجه الصليبية أفضل خطاب في التاريخ، ولد لبني مُنقذ الأمراء في شيزر على العاصي (وذلك في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ المقابل ٤ تموز ١٠٩٥) صبي أطلق عليه والداه اسماً تحلّى به في صدر الإسلام أول قائد عربي عهد إليه أمر فتح الشام (١)، وكان قد ورد في الرقم الحميمية السابقة للإسلام (٢). ذلك هو أسامة بن مرشد بن علي بن مفلد ابن نصر بن مُنقذ مؤلف كتابنا هذا وبطل روايته

عاش أسامة شهماً فارساً، وزها مجاهداً مقاتلاً، ولمع أديباً وشاعراً. تلهى صياداً، وقضى الكثير من سنيه جواًباً. نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماه، وصرف معظم شبابه في البلاط النوري بدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وغالب

(١) أسامة بن زيد بن حارثة

(٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أتى به من صنعاء الرحالة برکهاردت عليه

كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم «أسامة بن عامر». راجع M. Lidzbarski,

*Ephemeris für Semitische Epigraphik* (غيسين ١٩٠٢) ج ١ ص ٢٢١

## كتاب الاعتبار

سني كهولته في الدار الاتابكيّة بالموصل وفي حصن كيفا على  
دجلة

زار بيت المقدس في فلسطين، وحجّ إلى الحرّمين، وتنقل  
بين معظم العواصم الاسلاميّة من مدنيّة ودينيّة \* عشر نور  
الدين، وتصيّد مع زنكي، وصاحب الخليفة الحافظ وخلفه الظافر \*  
تعرّف شخصياً بيوهمند وتكرّد وفكك من الافرنج الصليبيين  
وخصّه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قمرياً صديقه صلاح الدين  
الأيوبي بعطفه \* آخى الافرنج - ولا سيما الفرسان منهم - في  
حين السلم وقاتلهم في حال الحرب، كما قاتل غيرهم من  
الاسماعيليّة وسائر العرب - فضلاً عن الأُسُد والوحوش \* وأخيراً  
في اواخر ايام حياته دوّن لنا كل ما خبره بالذات، وعرفه من مصادره  
الأصلية، في مذكّرات شائقة رائعة قلّ نظيرها - من حيث الأمانة  
في النقل، والصدق في الرواية، والدقة في الملاحظة، والنكهة في  
التعبير - في مجمل آداب اللغة العربية

فحياة أسامة اذن تمثّل لنا الفروسيّة الاسلاميّة العربية على ما  
ازدهرت في ربوع الشام في اواسط القرون الوسطى والتي بلغت  
حدّها الكامل في صلاح الدين، وسيرته تتضمن موجز تاريخ البلاد  
في القرن الثاني عشر - قرن التجريعات الصليبيّة الثلاث الأولى،

## مقدمة المحرّر

ومذكَرَاتِه الموسومة « كتاب الاعتبار » مرآة نتجلى فيها المدينة الشاميّة في اجلى مظاهرها - وذلك ليس بحد ذاتها فقط بل بالمعارضة مع المدينة الافرنجيّة التي قامت الى جانبها ولو ان اُسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربيّ، ولكان بيته «صالوناً» للادب بدمشق، ولراسل «الهلال» و «المقطّم» ولا أكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان ويرقب نموّ النبات، ولنالت جياده العربية جوائز سبق في بيروت، ولكان بلا تردد في أثناء الحرب العظمى ديوان فرقّة من المتطوّعة تولّى قيادتها بنفسه

على بعد خمسة عشر ميلاً الى الشمال من حماه أكمة صخريّة منتصبة على ضفّة العاصي الغربيّة يكلّتها حصن لم يزل قائماً لليوم معروفاً باسم «سيجر» تحريف «شيزر» • شيزر هو المرشح الذي تمثّلت عليه معظم الحوادث المدوّنة في الكتاب والتي جرت وقائعها في أيام اُسامة الفتى • الهضبة لتوثها سماها مؤلفو العرب «عرف الديك» • نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث، فهي اذن شبه جزيرة بوضعيتها الجغرافيّة • غير ان الانسان اكمل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبرّ ممّا زاد في مناعة الحصن وفي تعذّر الوصول اليه •

## كتاب الاعتبار

وشيزر اثنان: قسم واقع ضمن القلعة على الراية وهو «البلد»، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو «المدينة» • وللقلعة ابواب ثلاثة اهمُّها يفتح نحو الجسر • وعلى الجسر حصن أُطلق عليه اسم «حصن الجسر»

اذا غزا غاز البلاد السورية من الشمال فامامه طريقان: طريق بحرية تمرُّ في اللاذقية فالساحل الفينيقي - وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الاشوريين، وطريق داخلية تماشي العاصي الى حماه فحمص ثم تعطف غرباً مع وادي النهر الكبير حتى البحر شمالي طرابلس، أو انها تستمر من حمص في سهل البقاع وتتصل اخيراً بالساحل الغربي جنوباً عند أقدام سلسلة لبنان • الطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريين والبابليين من مثل رعسيس ونبوخذ نصر وهي التي آثرها اكثر الصليبيين • ولا بد لمن طرق هذه الطريق الثانية من الاجتياز بأفامية (قلعة المضيق) وباختها الجنوبية شيزر السلطنة على وادي العاصي • هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربية

لشيزر اسم في رأس قائمة المُدن السورية المتوغلة في القدم • ذكرها طُشيس للمرة الاولى بالهيروغليفيّة نحو سنة ١٥٠٠ ق م • في عرض وصف احدى حملاته من مصر، باسم «سِنزار»

## مقدمة البحر

أو «سيزار» • وذكرها بعده خلفه البعيد عنحتوب الثاني (٣) •  
ووردت بصيغة «زِنزار» في رقم تلّ العمارنه المساريّة •  
وسمّاها اليونان الاقدمون «سيد زارا» والبيزنطيون «سيزر» •  
وفي اواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقص الأول  
مهاجرين من لارسا في ثاليا وغير اسمها الى «لارسا» • على  
ان الاسم السامي الاصيل ما لبث أن عاد فتغلب وظهر بالعربية  
في صيغة «شيزر» • وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم  
لامرئ القيس:

تقطع أسباب اللبانه والهوى  
عشيّة رُحنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيدالله بن قيس الرقيّات:

فواحرزنا إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا (٤)

أمّا مؤرخو الافرنج الصليبيون فاطلقوا عليها اسم "Caesarea"

قيصرية • واحياناً قيصرية العاصي للتمييز

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية،

(٣) J. H. Breasted, *Ancient Records of Egypt* (شيكاغو ١٩٠٦) ج ٢

فقرة ٥٨٤ و ٣١٤

(٤) ياقوب «معجم البلدان» (لبزغ ١٨٦٨) ٣: ٣٥٣

## كتاب الاعتبار

وذلك عقب الاستيلاء على حصص وحماء بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح، فتلقتاه اهل شيزر «يكفرون ومعهم المقلسون، ورضوا بمثل ما رضي به اهل حماة» (٥). انما البلدة لأهمية موقعها الجغرافي، وباعتبار كونها مفتاح سوريّة الداخل، بقيت مطمح أبصار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها، الى ان اخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعها فيه عزّ الدولة سديد الملك ابو الحسن عليّ، جدّ أسامة، من أيدي الامبراطور الكسيس كومنينوس

وكان صالح المرّ داسي، صاحب حلب، قد منح الأُمراء المنقذين من بني كِنانة عام ١٠٢٥ اقطاعاً في جوار شيزر. فتمكّن أحدهم الأُمراء، مقلّد، من الاستيلاء على كفرطاب سنة ١٠٤١. وجاء بعده خلفه أبو المتوج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبنى حصن الجسر عند قدمي شيزر ليقطع عنها المدد. ولكنّ البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى أيام سديد الملك. فسديد الملك اذن هو مؤسس الدولة المنقديّة بشيزر. ولدن وفاته عام

(٥) البلاذري «فوح البلدان» (لیدن ١٨٦٦) ص ١٣١

## مقدمة المحرّر

١٠٨١ عقبه ابنه عزّ الدولة ابو المرهف نصر (٦)، وهو مع  
اشتهاره بالورع وحبّ السلام تولّى الى حين، وفيما سوى شيزر،  
أفامية و كفرطاب واللاذقيّة

تُوفي ابو المرهف بلاعقب عام ١٠٩٨، فتحدّرت الإمارة من  
بعده الى أخيه الاصغر مجد الدين أبي سلامة مرشد (١٠٦٨ -  
١١٣٧) والد مؤلف كتابنا أسامة\* ولكن مجد الدين شُغف  
بالصيد ونسخ القرآن أكثر من السياسة، فتنازل عن السيادة لأخيه  
الاصغر عزّ الدين ابي العساكر سلطان مردّدا «والله، لا وليتها\*  
ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها» (٧)

في أثناء إمارة سلطان، عمّ أسامة، كانت شيزر عرضة لغزوات  
متتابعة من بني كلاب في حلب، ومن الاسماعيلية (الحشاشين)،  
ومن الروم البيزنطيين، ومن الافرنج الصليبيين\* رشقها  
الامبراطور جان كومنينوس عام ١١٣٨ بالمنجنق عشرة أيام  
متوالية\* وحاول الافرنج تكراراً الاستيلاء عليها، ولكن على غير  
جدوى\* مناعتها الطبيعية، وحصونها المتينة، وزعامتها المنقذية  
أنقذتها كل مرّة من السقوط

(٦) فصلّ ذلك كله اس الاثير «كامل التواريخ» في *Recueil des historiens*

*des croisades historiens orientaux* (پاريز ١٨٧٢) ٥٠٤٠١

(٧) ابو نامة «كتاب الرؤضتين في أخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٨) ١١١:١ -

٠١١٢ و ابن الأثر في *Recueil* ٥٠٤١

## كتاب الاعتبار

وفي خلال إمارة سلطان جرت أكثر الحوادث التي دونها  
اسامة في مذكراته، وهو شاهد عيان لها، فخلد وقائعها وجعلها  
ارثاً لنا. ومع ان اسامة كان احد اخوة اربعة، هو ثانيهم، فان  
عمته سلطاناً، الذي لم يكن له أولاً ولد ذكر، استخصَّ اسامة  
بعطفه ورعايته، ودرّبه على الفنون الحربيّة، وكان يمتحن بالسؤال  
حضور ذهنه في ساعة القتال (ادناه ص ١٠٠) وعلى الجملة انشأه  
تنشئة من يريد ان يجعل منه خلفاً له. وكثيرة كانت المهمّات  
الشخصيّة التي عهد سلطان بها لابن أخيه، من مثل رفقة زوجة  
عمّه واولادها من شيزر في أيام الحرّ الى مصيات (ادناه ص ١٤٨).  
أما بعد أن رُزق العمّ ولداً يخلفه فوجهة نظره نحو ابن أخيه  
تغيّرت، والحسد اخذ يعمل عمله فيه، ممّا جعل اسامة الشاب يغادر  
شيزر موقتاً عام ١١٢٩، ونهائياً بعد وفاة والده اخي سلطان في ٣٠  
أيار سنة ١١٣٧. وكانت جدّة اسامة (٨) لأبيه قد حذّرتة مرّة  
من عمّه، وقد رأّت حفيدها داخلاً البلدة مساءً ويده راس أسد ضخم  
كان قد اصطاده، فأسدته النصّح بشأن تأثير عمل كهذا في نفس  
عمّه بقولها «ما يقرّ بك هذا منه، وانه يزيدك منه بعداً ويزيده  
منك وحشة ونفوراً» (ادناه ص ١٢٦). وبرغم ذلك فد «كتاب

(٨) والدّة اسامة في ابن الاثير «تاريخ الدولة الأتابكيّة» في *Recueil* (باريز

## مقدمة المحرّر

الاعتبار» (ص ٧١) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان • وخلصتها ان امرأة كان قد تزوّجها سلطان وطلّقها فوَقعت اسيرة في يد الافرنج، ففكّ للحال أسرها وسلمها لاهلها قائلاً «ما أدع امرأة تزوّجتها وانكشفت عليّ في أسر الافرنج»

تُوفي سلطان حوالي عام ١١٥٤ فخلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد، وهو آخر الأُمراء المنقذين • في أيامه تشلت على مر سح شيزر مأساة مفرجة قضت على بني منقذ بأسرهم • بمناسبة اختتان ولد لتاج الدولة أولم الوالد وليمة حضرها جميع آلهم، وفي اثنائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي «هلك فيه ما لا يُحصى» والذي خرّب «بالمرّة حماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وحمص وحصن الاكراد» (٩) «ولم ينجُ من بني منقذ أحد» (١٠) سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم • الا ان نور الدين، صاحب دمشق، عاد فعمر شيزر

التأثير الاكبر في نفسيّة أسامة كان لعنه سلطان، وبعده لو والده صورة الوالد التي أبقاها لنا أسامة في مذكّراته تمثله لنا رجل تقوى وسلام لا تهمة شؤون هذا العالم الفاني، يفرغ «زمانه لتلاوة

(٩) اس الأثير في Recueil ٥٠٣:١

(١٠) اها ٥٠٥٠١ - ٥٠٦

## كتاب الاعتبار

القرآن والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله»  
(ادناه ص ١٩٨) • وهذا يجب ألا يفهم منه انه كان متقاعداً  
جباناً • ففي غير مكان يذكر اُسامة أن والده لم يكن «له شغل  
سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله» (ادناه ص ١٩١) •  
ثم يقتبس عنه عبارة قالها لما حذّره ولده في معركة: «يا ولدي  
في طالعي انني لا ارتاع» (ادناه ص ٥٦)

ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالّة على نوع التربية التي  
نربّأها اُسامة في ظلّ والده وعمه، وسرّها كلّها متضمّن في  
تصريح اُسامة «ما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا  
ركوب خطر، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اِشفاقه واِثاره لي»  
(ادناه ص ١٠٣) • اُسامة، وهو دون العاشرة، يطعن خادمه طعنة  
نجبيّة قاضية دون ان يستوجب سخط والده (ادناه ص ١٤٥) • يياشر  
القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف انه في اول قتال حضره حمل  
على افرنجيّ طعنه فخرج من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة  
(ادناه ص ٤١) • يرى حيّة، وهو صبيّ، على حائط الدار فيتسلّق  
اليها ويأخذ يحزّ رأسها بسكّينه الصغير، وهي تلتفّ على يده،  
وابوه يراه ولا ينهاه (ادناه ص ١٠٣) • تعود رهائن من افرنج  
وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في أيدي صاحب حصص،

## مقدمة المحرّر

الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً خاصاً (ادناه ص ١٨٦) من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حثّل فيه أسامة الأثر الذي أثره في نفسه - وهو المسلم المحافظ - الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها أهميتها . ولكنها لا توازي أهمية هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة . الافرنج - في نظر المؤلف - لهم شجاعتهم، ولكنهم خالون من «الغيرة» الجنسية (ادناه ص ١٣٥) . طبّهم ساذج جاهل بالمعارضة مع الطب العربي على ما مثله ثابت (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣) وابن بطلان النصرانيان (ادناه ١٨٣ - ١٨٥) . محاكماتهم غيبة غريبة (ادناه ص ١٣٨ - ١٤٠) . «من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجنى أخلاقاً من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين» (ادناه ص ١٣٤) . الكاتب لم يرضنّ عليهم بلقب شياطين (ادناه ص ١١٨ س ٢١ و ص ١٢٨ س ١٤) و «كافرين» (ص ١٢٨ س ١٤ و ص ١٣٥ س ١٤) ولم يتردّد في استنزال لعنة الله عليهم (ص ١٣٩ س ١٤ و ص ١٤٠ س ١) عملاً بسنة كتاب ذلك اليوم، وفي الدّعاء الى الله تعالى كي «يطهر الدنيا منهم» (ص ١٣١ س ٥) . لذلك يلذّ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة «يا أخي» (ص ١٣٢ س ٩) ويرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج، وان

## كتاب الاعتبار

نرى أسامة يدعو الفرسان الداوية (Templars) «أصدقائي» (ص ١٣٤ س ٢٠)، ونرى هؤلاء يُخلون له في المسجد الأقصى مكاناً صغيراً يصلّي فيه إذا زار بيت المقدس

وفي الكتاب فضلاً عن ذلك اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد من زراعية واجتماعية، وتعرض أمام بصائرنا الواناشي من صور الحياة السورية العربية \* القطن كان من غلّة كفرطاب (ص ١٥١ س ١٦)، غابات شمالي البلاد الكنيفة كانت غنيّة بالأسود والنمور والغزلان وحُمر الوحش (ص ١٠٥ - ١١٢ و ١٩٢ - ١٩٣)، جلاء العروس (ص ١٨٠ س ٢) - على ما هو متّبع لليوم في لبنان - كان عادة مرعيّة في القرن الثاني عشر، استتجار ندّابات تندب في المآتم (١١٥ س ١٢) كان معروفاً يومئذٍ كما هو معروف اليوم

آخر فصول الكتاب (ص ١٩٠ فما بعد) يتناول مسألة الصيد على ما مارسه أبناء ذلك الزمان بالبازي والصقرو بمعونة الكلاب، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل \* حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم يفت أسامة فانه وصفها (ادناه ص ٢١٧ - ٢١٨) كأنك ترى العملية بعينك

مخطوطة «كتاب الاعتبار» هي وحيدة لا أخت لها، على ما

## مقدمة البحر

نعلم، محفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا . وهي ٦٧ ورقة، ولكنها مخرومة الأول حيث ضاع منها ٣١ ورقة، فيكون أصلها ٨٨ ورقة . المخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود بالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي اذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا

في خاتمة المخطوطة ما نصه:

وكان في آخر الكتاب ما مثاله:

قرأت هذا الكتاب من أوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي

الامير الاجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين، جلس

الملوك والسلاطين، حجة العرب خالصة امير المؤمنين، أدام

الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه .

فاجابني الى ذلك . وطر خطه الكريم .

وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر

سنة عشر (٣٩) وستماية .

صحيح ذلك . وكتب

جده مرهف بن

أسامة بن

منقذ

حامداً

ومصلياً

التاريخ اعلاه، ١٣ صفر سنة ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) هو ليس

تاريخ مخطوطتنا هذه - كما وهم درنبورغ (٤٠) - بل تاريخ

(٣٩) «عسره» في الاصل . قابل ادناه ص ٢٢٦

(٤٠) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدّم بها طبعة «كتاب الاعتبار»

فيشكوه فكل من هو من العهد بالبلاد الافريقية اجفي لخلاف من الدين وقد وردوا  
 وعاسروا المسلمين فرحوا بخلافهم فبهم الله اسي كتبت اذ اررت المسلم من  
 دخلت الى المسجد الاقصي وفي حانته مسجد صغير فدخلته الا اخرج كسه فكتب اذ اظلم  
 المسجد الاقصي وفيه الدراويده وهم اصداقاي كلون لي لك المسجد الصغير اصلي فيه  
 سوفا فكريت وروعت في الصلاة ثم على واحد من الاوارج مسكني ورد وحمي لا السرقة  
 وقال كذا صلي فساد راله نوزم من الدراويده اخذوه اخرجوه عني وعبدا انا الى  
 الصلاة فاعتقلهم وعاد بهم على ذلك بعسه ورد وحمي لا السرقة وقال فدا  
 صلي بعد الدراويده دخلوا اليه واخرجوه ولعدروا اليه والواهد اعرب وصل  
 من بلاد ارج في يده الا نام وما راى من صلي لا السرقة فقلت حسي من الصلاة  
 محرجت بك اعلم من ذلك الشيطان بعسر وجره وروعته وما لحفته من نظر الصلاة  
 لا القيله ٥ ورايتهم جاء الى الامر معبر الذين رحله  
 وهو في الصوره فقال يريد مصر الله صغيرا والدم نسي من ايد ساحي اورا باصوره  
 مرهم والمسيح عليه السلم صغير في حجرها قال هذا الله صغير تعالى الله عما  
 سوا الكافرون علوا كبيرا وليس عديم من الهوى والغره يكون الرجل منهم نسي هو  
 وامرانه بلغاه رجل اخرنا احد المرأه واعتزل بها ويحدث معها والروح  
 واقف ناحيه ينظر فراغها من الحديث فاذا طولت عليه خلاها مع الحديث وهي  
 وما شاهدت من ذلك اني كتبت اذا احتلت باليس ابرك في دار رجل  
 قال له مغردان عمان المسلمين لها طامار يعبر الى الطريق ويطلبها من حاسب  
 الطريق الاخر دار رجل افريحي سبع احر للبحار يا حرسه من الله وسادتي عليه  
 وسولت فلان الناجر فليح بنته فهدا احر مرارا دنها سا فهو في موضع كذا  
 وكذا واجريه عن يديه السيد الذي في تلك القفيه فجا يوما ووجدت اظلا  
 مع امرانه في العرائش فقال له اي شي ادخلك الى عدا مني قال كسب تعاب  
 دخلت اسرج قال فكيف دخلت الى فراسي قال وجدت فراسا مفروشا  
 ممس فيه قال والمرأه نائمة معك قال العرائش لها كتبت اذ رايتهم من اشها

Facsimile of Folio 41B of "Kitāb-al-ʿItibār" MS in the Escurial

صحيفة ٤١ قفا منقولة عن مخطوطة « كتاب الاعتبار » المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

قال وحوذتني اربعة فقلت كراحي صمت انا وانت فكان هذا نيكه وسبلغ غزبه  
ومن ذلك انه كان عند رطل حماني سال له سالم من اهل المعرة في حمام الى الله  
رحمه الله قال نعم حماني المعرة اعسر فيها ودخل اليها فارسا منهم وهم  
سكروا على بسطة وسطها المرور في الحمام فلدت حذرت مسدي من وسطها  
زناه ورائي وانا فرقت عندهم فقلت لعلي قال سالم فقربت منه فلدت علي عاي وقال  
سالم جيد وحوذتني اهل الجند واستلم علي طهره وله من الحسنه مثل ذلك  
في ذلك الموضع فقلت له فريده عليه فاستوطاه فقال سالم حوذتني اعسر  
للأما واللائم لسانهم الست اعني امرائه وقال لعلي لم له في الامام في العلم  
احصها وادخلها فاستلمت علي طهرها وقال اعلي كما علمت في حلف ذلك السحر  
ودرجها فاعد بيظري منكري ووهي حوحتني فانظر والي هذا الاخلاق  
الظنم ما فهم عسره ولا يحوه وهم النجاعة العظيمه وما يكون السجاده الا  
من الحوه والانه من سوء الاحزونه هذا الذي هذا الذي  
دخل الحمام كمدنه صور فحلت في حلقه بها فقال لي بعض علماني في الحمام امره  
فما حرج حلت علي المصايط لو اذا الي كانت في الحمام قد حرج وهي معاطي قد  
لست تبارها وهي واقعه مع اسها ولم احقوا بها امره فقلت لواحد من اصحابي  
ما لله انصر هذه امره هي وانا انصر ان سال عنها فصحي وانا اراه رفع ذليلها  
وطلع منها فالعب الي ابونها وقال هذه التي باب امها وبالمها من غسل راسها  
فادخلها معي الحمام غسلت راسها فلي جدد على هذا الكره ثواب  
ومن عجيب طبرهم ما حدثنا به لييام ديور صاحب طبريه وكان مقدما  
فيهم وانتوانه رافق الامير معز الدين رحمه الله من عكا الى طبريه وانا معه فحدثنا في الطريق  
قال كان عندنا في بلادنا فارس لير القدر فرض واشرف علي المود فنجينا الي قس كثير من  
سوء منا فلما نحن معنا حتى بمصر الفارس فلان قال نعم وسي معنا وحسب من انه  
اد اخطبه عليه عوني فلما راه قال اعطوني سمع فاحصنا له دليل شتمع  
فلتته وعله سل بعد الاصبع وعمل كل واحد في حاسه انفه فاد الفارس

Facsimile of Folio 42A of "Kitāb-al-I'tibār" MS in the Escorial

صحبته ٤٢ وجه معوله عن مخطوطه « كتاب الاعتبار » المحفوظه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

## كتاب الاعتبار

الأُمّ التي نُسِختُ عنها . نسختنا اذن غير مؤرّخة، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتِبَ بعد وفاة المؤلف (أُسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف ابن أُسامة المحبوب ممهورة بامضائه

المخطوطة هذه نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) \* وهي التي نحن الآن ننشرها نقلاً عن الصورة الفوتوغرافية التي استحصلناها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد

مخطوطتنا هذه حافلة بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يمكن ان يكون مؤلفها - واضع كتاب في البديع وصاحب ديوان - قد ارتكبها . وهي فضلاً عن ذلك مشبعة بالعبارات العامية (ولا سيما في الجمل المقتبسة والمحكية)، مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً، وان ايدي الناسخ او النساخ عبثت به واليك امثلة من آثار عدم العناية في النسخ: «دشني» «دشن» (ص ٥٢ س ١ - ٢) - «موز» «موزا» (ص ٧٢ س ١٤ - ١٥) - «الرّحى» «الرحا» (ص ١٠٥ س ١١ و ١٢) - «قاسم» «قسيم» (ص ١٧٠ س ١٧ و ص ١٧٢ س ١٣) - الى آخر ما هنالك من الكلمات التي وردت بصورتين او اكثر في سطر واحد او في صفحة واحدة

## مقدمة المحرّر

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالة على سلامة ذوق اُسامة في الانشاء - اذ ان ثمة الكثير من الحقائق البعيدة الغور في طبيعة الانسان واختباره لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي وجلّه اصطناعي بل في النسق «الدارج» الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ونواحيها - فأمره يهتّمنا من وجهة اخرى • مقابلة هذه الاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس هامّ في تطوّر اللغة العربية المحكيّة • وهالك امثلة من اُسامة:

(أ) «أيش [أي شيء] انتم؟» (ص ١٢ س ٦) - «ما في [لا يقدر] هذا يسرق رغيف خبز» (ص ٤٥ س ٨ - ٩) - «تموا [ما زالوا] يطردونهم» (ص ٥١ س ٢) - «خفت لا [لثلا] يكون» (ص ٦٤ س ٧ و ١٥) - «طلّع [تطلّع] تحتها» (ص ٢١٤ س ١٦) - «حمدت الله سبحانه الذي [اللي - في العامية] ما ناله ضرر» (ص ٦٣ س ٧)

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل إما لا يعقل: «الكلاب

نطعمهم [نطعمها] من عيشنا» (ص ١٢ س ١٤)

(ج) استعمال المثني المنصوب في حالة الرفع: «ديواني كل

شهر دينارين [ديناران]» (ص ٧٥ س ١٦) - «وفيه خرّنقين

[خرنقان]» (ص ١٩٦ س ١٤)

## كتاب الاعتبار

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد الى اسم مثنى: «اطرهم  
[[اطرهما]]» (ص ١٩٦ س ١٤) - «يست رجلاي ودقت  
[[ودقتنا]]» (ص ١٧٧ س ١١) - «فخرج فارسان ٠٠٠ فصادفوا  
[[فصادفا]] رجلاً ٠٠٠ فاخذوه [[فاخذاه]]» (ص ٦٣ س ١٦)

(ه) لغة اكلوني البراغيث: «فاقتطعوهم [[فاقتطعهم]] الروم»  
(ص ٩٢ س ١٨)

(و) الميل لاهمال الهمزة او لتحويلها ياءً: «الحيط [[الحائط]]»  
(ص ٧٤ س ١٠) - «خبَّيته [[خبَّأته]]» (ص ٤٦ س ٣) - «غاروا  
[[أغاروا]]» (ص ٥٨ س ١٥) - «[[اِسأل]]» (ص ٨٧ س ٩)  
(ز) ادغام الحرفين المتجانسين واقحام ياء بعدهما: «دلَّيت  
[[دللت]] الحرامية» (ص ١٣٨ س ١٧) - «شَقَّيته [[شققته]]» (ص  
١٤٧ س ١١)

(ح) الاشباع: «روح [[رُح]]» (ص ١٢٤ س ٦)

وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة، ميله لاستعمال صيغة المؤنث:  
«مغار معلَّقة» (ص ٧٠ س ١٩) - «عقرب صغيرة» (ص ١٠٩ س  
٨) - «حجر ثانية» (ص ١١٤ س ١٤) - «الأرنب دخلت» (ص  
١٩٢ س ١٨) - «سكِّيناً صغيرة» (ص ١٠٣ س ١٧) - «طارت  
العجل» (ص ٢٠٠ س ١٦)

## مقدمة المحرّر

وللمخطوطة من حيث الخطّ ميزات منها أنها انتهت إلينا خلواً من حركات الاعراب، ومن علامات الوقف، ومن أكثر نقط الحروف بحيث يصعب أحياناً التمييز بين الفاعل والمفعول، وبين المعلوم والمجهول، وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى. خذُ مثلاً على ذلك لفظة «عدل» التي وردت في قصّة نمر جاء به أحد الحلبيين إلى صاحب القدموس. فان درنبورغ، على ما يظهر، قرأها «عدُل» (طبعة درنبورغ ص ٨٣) وترجمها (٤١) "la séance"، وهي في الحقيقة «عِدْل» (ادناه ص ١١١ س ٤١) بمعنى كيس. ولقد ورد في قصّة بعض قطاعي الطرق كلمة «سهم» فقرأها درنبورغ «تسبقهم» (ص ٥٤)، وقرأها لاندبرغ (٤٢) «تسبقهم»، وقرأها كاتب هذه الأسطر «يشنقهم» (ادناه ص ٧٢ س ٢٠). بين «السبق» و«الشنق» بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط، ولكنه بالفعل فرق عظيم. في المخطوطة اسم علم ورد على هذه الصورة «حرار» (ادناه ص ١٢٤ س ١) فهو: جرّار، جزّار، حرّار، حرّاز، حرّاز، خراز، خرّاز، خزّار، خزّاز. عشر قراءات فقط لا غير وكلها واردة أسماء اعلام في

(٤١) *Autobiographie d'Ousāma* (پاریز ١٨٩٥) ص ١١٠

(٤٢) C. de Landberg, *Critica Arabica* (لیدن ١٨٦٦) جز ٢٠ ص ٢٦

## كتاب الاعتبار

الذهبي (٤٣) فاختر لك منها ما يحلو

عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة، كما هي الحال في اللغات الاوربية، يؤدي أحياناً للاشتباه في اللغة العربية. ففي صفحة ٥٠ سطر ١٦ (ادناه) و صفحة ٢٠٦ سطر ١٤ وردت «العلاء» وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ (ص ٣٧ و ١٥٢) نكرة وترجمها «la ville haute» (٤٤) أما «قرية خربة» (ادناه ص ٨١ س ٧) فحسبها علماً (٤٥)

ارجاع الضير من معضلات العربية. والاشكال فيه جعل درنبورغ مرة يحسب ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان (٤٦)، والحال انه الطاعن (ادناه ص ٦٣ س ٥)، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (٤٧)، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه (ادناه ص ١٤٦ س ٧)، وثالثة ان الجريح أغشي عليه (٤٨) والحال ان الغلام الشاهد هو الذي أغشي عليه (ادناه ص ١٤٥ س ١٨)

(٤٣) «المشبه» (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ - ١٠٠

(٤٤) *Autobiographie* ص ٥٠

(٤٥) ابضاً ص ٨١

(٤٦) ابضاً ص ٦٣

(٤٧) ابضاً ص ١٤٢

(٤٨) ابضاً ص ١٤٢

## مقدمة البحر

ليس في مصطلحات العربية علامات للاقتباس تضمن الجمل المحكية • وهذا ما جعل درنبورغ (٤٩) يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان داخلة في ذلك الخطاب، مع انها ليست جزءاً منه (ادناه ص ١٦ س ٧) • لماً مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فأعرب له هذا عن فرحه به لأنه فارس عظيم أجاب أسامة (ادناه ص ٦٥ س ١٤ - ١٥) «انا فارس من جنسي وقومي» • وورد على اثر ذلك في الاصل «واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم» • فدرنبورغ (٥٠) ضمن هذه العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة بالاستنتاج دقيقاً طويلاً، والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للفرنج، فيكون أسامة سميناً قصيراً

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية • فهو يقول عن الافرنج «انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ما ندري ما يقولون» (ادناه ص ٦٦ س ٨) • وفي مكان آخر (ادناه ص ١٤٠ س ٢١ - ٢٢) يشير الى امرأة افرنجية «تبربر بلسانهم وما ندري ما تقول» • ثم يذكر ان رفيقه الغرسياني «التفت الى غلام له كلمه بالتركي ولا ادري ما يقول» (ادناه ص ١٠٠ س ٩ - ١٠)، وفي غير موضع يقول «وهم

(٤٩) *Autobiographie* ص ١٤ س ٣٨

(٥٠) ايضاً ص ٦٦

## كتاب الاعتبار

يتكلمون بالتركي ولا أدري ما يقولون» (ص ١٥١ س ٧) • على  
ان ذلك كله لم يمنع من استعمال كلمات افرنجية كـ «سرجندي»  
(ص ١٥٥ س ١٥) و «سرجند» (ص ٦٧ س ٦) (sergeant)  
- «تركبولي» (ص ٥١ س ١) (Turcopole) - «برجاسي» (ص  
١٤١ س ٣) (bourgeoisie) - «البسكند» (ص ١٣٩ س ٤) (viscount)  
- «الداما» (ص ١٣٦ س ٢٠) (Madame) - «البرونس» (ص  
١١٩ س ١) (prince)

والذي يهمننا اكثر من ذلك استعماله طائفة من الكلمات الفارسية  
والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن متكلمي العربية  
وألفتها آذانهم • ومما يجب ملاحظته ان غالب أسماء آلات  
الحرب انما هي فارسية، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية  
عن جيرانهم الفرس • واليك بعض الامثلة من الالفاظ الفارسية  
المعرّبة:

«سندروس» (ص ١٢ س ٢) (تعريب سندروس، معدن)  
- «سرفسار» (ص ١٣ س ١٧) (سرفسار، راس العنان) -  
«كزاغند» (ص ٤٦ س ١٤) (كزاغند، كزاغند، ستره تقوم مقام  
الدرع) - «درگاه» (ص ٤٩ س ١٣) (درگاه، بلاط الملك) -  
«دشني» (ص ٥٢ س ١) (دشني، خنجر) - «خريشت» (ص ٥٢ س

## مقدمة المحرّر

(٦) (خِشْت، حِرِيَّة) - «موزا» (ص ٧٢ س ١٤) (مُوزَه، خِيف) -  
«اوزبه» (ص ٧٣ س ٦) (اوزبك، امير الجيش) - «بُشت»  
(ص ١١٧ س ١٣) (پشت، عباءة) - «تر كَش» (ص ٢١٣ س ١٧)  
(تر كَش، جعبة) - «ديدب» (ص ١٢٧ س ١٣) (ديدبان، راقب)  
وهناك لفظتان فارسيتان اشبه امرهما على درنبورغ فحسبهما  
عربيتين: «برجم» (ص ١٥٩ س ٧) وهي برجم، شعر ذنب عجل  
البحر • فظنّها درنبورغ «براجم» العربية وترجمها articulations  
"de doigts" (٥١) • و «نشاف» (ص ١٢٣ س ٣) وهي في الراجح  
«نِشاف» الفارسية بمعنى بله • ولقد ترجمها درنبورغ  
"consumption" (٥٢)

واليك نموذج من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب: «يرق»  
(ص ١٠١ س ١٩) وهي يراق، سلاح - «جوبان» (ص ١٠٦ س ٣)  
وهي چوبان، راع (٥٣)  
ومن الالفاظ اليونانية: «سقلاطون» (ص ١١ س ١) ثياب موشية  
- «قنطارية» (ص ٥٧ س ٢٠) الرمح - «زربول» (ص ١٠٩ س ٣)  
حذاء

(٥١) Autobiographie ص ١٥٦

(٥٢) ايضاً ص ١٢٩

(٥٣) اما درنبورغ فحسبها علماً "Djaubān al-Khail"

في Autobiographie ص ١٠٥ س ١٠

## كتاب الاعتبار

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي  
جهاد العلماء الابطال في حلّ ألغاز المخطوطة العربية و كشف  
معياتها، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم  
المراد

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لـ « كتاب الاعتبار »  
ظهرت ترجمة المانية بقلم شومان (٥٤) اعتمد فيها الكاتب على  
الترجمة الافرنسية برغم تصريحه في مقدمة الكتاب انه ترجمه عن  
الاصل العربي \* وهذه بعض الشواهد على ذلك: درنبورغ اغفل  
سهواً في ترجمته (٥٥) اسم خطيب اسعد الاول وهو «سراج  
الدين» مع انه مثبت في طبعته العربية (ص ١٢٥ س ٥٥ قابل ادناه  
ص ١٧٠ س ٢) وكذلك فعل شومان (ص ٢٢٩) \* أقحم درنبورغ  
في مكانين من ترجمته (ص ٢٦ س ١٤ و ٣٧) كلمة «نصر» بعد  
«ناصر الدين» وهي غير واردة في طبعته (ص ٢٠ س ٢ و ١٢ \*  
قابل ادناه ص ٢٦ س ١٥ و ص ٢٧ س ٦) وشومان (ص ٥٠ و ٥١)  
اتبع اثره \* في موضع آخر اشتبهت كلمة «ثمان» (ادناه ص ١٠٥  
س ٤) على درنبورغ (ص ٧٧ س ١٩) فحسبها «ثمان» وجعل غلة

(٥٤) Georg Schumann, *Ulsāma Ibn Munkidh Memorien* (اينزبروك

١٩٠٥

(٥٥) *Autobiographie* ص ١٦٥

## مقدمة المحرّر

الطاحون مائة دينار "cent dinārs" (ص ١٠٤ س ١٩ و ٢٨) بدلا  
من ثمان مائة دينار، وشومان اقتفى اثره وترجم "hundert Denaren"  
(ص ١٥٤ س ١٥ - ١٦ و ٢٤)

ولقد نشر كاتب هذه السطور في العام الفائت عن المخطوطة  
المودوعة بالاسكوريال « كتاب الاعتبار » هذا مترجماً للانكليزية  
بعنوان *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period*  
*of the Crusades* طبع نيويورك . وهي المخطوطة التي نملها  
الآن للنشر . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة اخرى  
انكليزية (٥٦) لا قيمة علمية لها ولا جديد فيها لانها مبنيه على  
الترجمة الافرنسية السابقة

ولا بد في الختام من التثية الى اني كنت ارغب جدّ الرغبة  
ان ابقى الاصل المخطوط على ما هو تماماً دون احداث اي تغيير  
او ابدال، لولا ان ذلك الاصل على ما انتهى اليه التناقص خال من  
النقط والحركات وعلامات الوقف والعناوين، كما يتضح من  
نماذج الصور الفوتغرافية المنشورة في هذا الكتاب، فنشره على  
اصله لا يفهمه قارىء، لذلك رأيت ان ابوب الكتاب، واقسمه  
فقرات، واجعل للابواب والفقرات عناوين كلها من قلم التحرير

G. R. Potter, *Autobiography of Ousama ibn-Mounkidh* (٥٦)

## كتاب الاعتبار

سوى كلمة «فصل» في راس الباب الثاني ص ١٦٩ و «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعة ص ١١٤ وعلى كلِّ فاني لم احدث تغييراً ما الا اشرتُ اليه في الحاشية مع اثبات الاصل . كل ذلك تقيُّداً بالسنن العلمية الحديثة المرعية في نشر المخطوطات، وعملاً بواجب الامانة التاريخية . وكلما كان ضمن قوسين مربعين [ ] في المتن هو ايضاً من قلم المحرّر . والاعداد ضمن القوسين تشير الى عدد الصفحات في المخطوطة الاصلية، وهي مرفوقة بالحرف و - وجه أوق - قفا

في مساء الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ (١٥ تشرين الثاني سنة ١١٨٨)، وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت القدس من يد الافرنج، تُوفي اُسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية)، ودفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت (٥٧) بانه «معظم مقدّس» . ولقد دُرس قبره مع ما دُرس من الاثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على انفاقها الدور الحديثة (٥٨) ولكن المترجم

(٥٧) «معجم البلدان» ٤: ١٣

(٥٨) هذه خلاصة تقرير تكرر به الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق و كنت كلّفته أمر التنقيب عن قبر اُسامة

## مقدمة المحرّر

وهو مسلم، فتصدر أوامر والد أسامة له في هذه الصيغة «اتبعهم  
بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائكم» (ادناه  
ص ١٠٣) . الكلمات الاخيرة «ارموا انفسكم» تقع من نفس  
أسامة موقفاً شديداً

وللدلالة على الرّابط البنوي الذي كان يربط الابن بآبيه يكفي  
الاستشهاد بعبارة اوردتها أسامة بعد أن أظن بحسن خط والده:  
«وما يقتضي الكتاب ذكر هذا، وانما ذكرته لاستدعي له [للوالد]  
الرّحمة ممّن وقف عليه» (ادناه ص ٥٣)

أما والده أسامة فلنا ان نتحقّق المعدن التي جُبلت منه من  
مراجعة حادثة أوردتها أسامة . ومفادها ان الاسماعيلية مرّة هاجمت  
شيزر والرجال متخلفون . فوزّعت أمّ أسامة السلاح وألبست  
ابنتها الخفّ والازار واجلستها على روشن مشرف على الوادي  
حتى اذا ما انتهى الأعداء اليها تدفعها وترميها الى الوادي فتراها  
ميتة ولا اسيرة في أيدي «الفلاحين والحلاجين» (ادناه ص ١٢٥) .  
حقاً ان والدته كجدته كانت من «أمّهات الرجال» (ادناه ص

(١٢٦)

تلك هي البيئة التي نشأ فيها أسامة وترعرع . فتصلّب عوده  
وهو مرّ، وألف اقتحام المخاطر والمغامرات، وتربّى على مبادئ

## كتاب الاعتبار

الفروسية والشهامة . وذلك في عصر تلاحقت فيه الحروب،  
وتتابعت الغزوات من الافرنج والعرب - من مسيحيين ومسلمين،  
وفي بلاد توفرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترسة .  
حتى ان اُسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح  
مستعد للعدو المفاجيء (ادناه ص ٢٠٠) . ولم يشهد اُسامة القتال  
في شيزر وحماه من مدن سورية الشمالية فقط، بل في عسقلان وبيت  
جبريل من أعمال فلسطين، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر، وفي  
ديار بكر والموصل . فلاغرو ان اصبحت اسمه في التواريخ الاسلامية  
مرادفاً للبطولة

الذهبي (١١) سَمَّاه «احد ابطال الاسلام» . ابن الاثير (١٢)  
وصفه بانه « كان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها» .  
واُسامة نفسه أجمل اختباره الحربية بقوله في آخر أيامه «فكم  
لقيتُ من الاهوال، وتقمَّمتُ المخاوف والأخطار، ولاقيتُ  
الفرسان، وقتلت الأُسود، وضربت بالسيوف، وطعنت بالرماح،  
وجرحت بالسهام والجروح» (ادناه ص ١٦٣) - هتاف ليس  
المقصود منه التأثير الخطابي فحسب، بل تبيان الحقائق  
ومن خلال كل هذه الاختبارات تتبين لنا شخصية اُسامة فاذا

(١١) «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٧١:٢

(١٢) «الدولة الأتابكية» في *Recueil* ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٧

## مقدمة المحرّر

بها شخصية مستسلمة تستقبل الافراح كما تودّع الاحزان، تواجه الظفر كما تجابه الفشل، بروح الصبر والتسليم • النصر - باعتبار اسامة - من الله (ادناه ص ١٤٧ س ١٩)، وكذلك الهزيمة • الموت لا «يقدمه ر كوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر» (ادناه ص ١٦٣) • «الله مقدّر الأقدار، وموقت الآجال والأعمار» (ادناه ص ١٦٢) • في العبارة الاخيرة متضمن فلسفة الحياة بأسرها كما فهمها أسامة

وفي مجمل معاملاته مع أصدقائه وأخصامه يُدهشنا هذا الرجل بميله للنصفة والعدالة • ها كه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج • الرفيق يشير باخذهم على حين غرة، ولكنّ جواب أسامة: «ما هذا انصاف • بل نحمل عليهم انا وانت» (ادناه ص ٥٨) • والمبهج انه لا يلبث ان يتم سرد هذه الحادثة، التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها «رويجل» (ادناه ص ٥٨) • يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمعارضة مع الطب العربي (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣) - وهي من أبداع قصص الكتاب - ثم لا يلبث ان يردفها بأخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب (ادناه ص ١٣٣ - ١٣٤) • يطنب بوالده صياداً، ولكن سلامة ذوقه توحى اليه على

## كتاب الاعتبار

الأثر «ما أدري كنت اراه بعين المحبة كما قال القائل: (وكل ما يفعل المحبوب محبوب، ما أدري أكان نظري فيه على التحقيق» وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه» (ادناه ص ١٩٨)

قضى أسامة سنيماً غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (سنة ١١٤٤ - ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عششت فيها جرائم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار: يد الوالد على الولد، والولد على الوالد، ويد الخليفة على الجميع. ابن الاثير (١٣) يدعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن أبي الفتوح بقتل العادل وزير الظافر (ادناه ص ١٨) ولكن مذكرات أسامة لا تدل على انه لوث يديه في حال من الأحوال. صلاح الدين الغريسياني، ذلك الجلف التركي، يوسط من يشاء من رجاله - يأمر بقطعهم شطرين من الوسط - لسبب أو لغير سبب، وأسامة لا يتردد في التوسط بامرهم (ادناه ص ١٥٦ - ١٥٧) عم أسامة يجلوه عن مسقط رأسه، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر، فيرثهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب:

لم يترك الدهر لي من بعد فقهيم  
قلباً أجشمه صبراً وسلوانا

(١٣) «كامل التواريخ» (أيسالا ١٨٥١) ١٢١:١١

## مقدمة البحر

فلو رأوني لقالوا مات أعدونا  
وعاش اللهم والاحزان أشقانا  
لم يترك الموت منهم من يخبرني  
عنهم فيوضح ما قالوه تيانا  
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجياً  
للخطب أهلك عمّاراً وعمرانا  
هذي قصورهم أمست قبورهم  
كذاك كانوا بها من قبل سگانا

الى ان يقول:

بنو أبي وبنو عني دمي دمهم

وإن أروني مناواةً وشاناً (١٤)

احترام أسامة لجنس النساء أمر يسترعي انتباهنا. فانا نراه يضع تأليفاً موسوماً «أخبار النساء» ويكرّس في «كتاب الاعتبار» (ادناه ص ١١٨ - ١٣١) حقولاً طويلةً للاشادة بأعمال البطولة التي قام بها البعض منهن، وبينهن والدته. وفي قصته مع خادمته العجوز التي أفرد لها بيتاً في داره و كان يناديها «يا أمي» (ادناه ص ١٨٦) نافذةً نبص منها الشيء اللطيف ضمن أعماق قلبه. وما ألطف ملاحظته بعد ان اقتدى أسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل ان يدفع الثمن فالزمه الافرنجي القيمة كلها: «وهان ذلك عليّ لسرّتي بخلاص اولئك المساكين» (ادناه ص ٨٢)

(١٤) ابو شامة ١: ١٠٦

## كتاب الاعتبار

حين لم يكن أسامة مهمو كماً بقتال الأعداء من بني البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذٍ تعجّ بها، أو يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحُمُر الوحش بالبازي وبالباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة • وترى زبدة اختياراته مضمّنة في فصل في الصيد ختم به كتابه، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه • أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد «سبعين سنة» (ادناه ص ٢٢٥)، وانه حضر قتال الأسد في مواقف لا تُحصى وقتل عدة منها لم يشاركه في قتلها احد (ادناه ص ١٠٩ و ١٤٤)، وان الخليفة الحافظ عناه في سؤاله الانكاري «واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟» (ادناه ص ١٩٤) • لذته في درس الحيوان جعلته يكشّف ان «الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان» (ادناه ص ١٠٦) ويحسب «ان الأسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه» (١٥) (ادناه ص ١٠٦ و ١٠٩)، ويلاحظ «أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه • وفيه غفلة وبله، ما لم يُجرح • فاذا جرح فحينئذٍ هو الاسد» (ادناه ص ١٠٩)، ويقول ان النمر «دون سائر الحيوان يقفز الى فوق أربعين ذراعاً» (ادناه ص ١١٠) • على ان

(١٥) لم أجد في الكتب العلميّة ما يثبت صحة هذه النظرية

## مقدمة المحرّر

صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم: «ومن خواصّ النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات، ولا ترتدّ الفأرة عن جريح النمر» (ادناه ص ۱۱۱). ولما عرض افرنجي في حيفا فهداً للبيع أدرك أسامة لأوّل نظرة من طول الوجه وزرقة العينين ان الحيوان نمر لا فهده وبالتالي لا يصلح للشراء (ادناه ص ۱۱۱). ومن دقيق ملاحظاته ان الحبارى اذا اقترب منها الصقر «استقبلته بذنبها، فاذا دنا منها سلحت عليه بلّت ريشه وملاّت عينيه وطارت» (۱۶) (ادناه ص ۲۱۶)

نظر أسامة للصيد كسبب للهو ظاهر من البيت الذي استهل به  
فصل الصيد:

ولله مني جانبٌ لا أضيّعه

وللهو مني والبطالة جانبٌ (ادناه ص ۱۹۰)

ونزعتة الاستقرائية تلوح من عدم تلييته طلب نور الدين عندما سأله هذا ان يصلح الباز فرفض وأجاب - لما اظهر نور الدين عجبه كيف ان أسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن اصلاح الباز - «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن، كان لنا بازيارئة وغلماان يصلحونها» (ادناه ص ۱۹۷)

(۱۶) قابل مراجعة كتاب C. H. Stockley, *Shikar* في  
*London Times Literary Supplement* عدد ۱ تشرين الثاني سنة ۱۹۲۸

## كتاب الاعتبار

تهذيب أسامة المدرسي تناول دراسة النحو عشر سنين عند قدمي أبي عبدالله الطليطلي «سيويه زمانه» الذي كان قد تولّى دار العلم بطرابلس (ادناه ص ٢٠٧) . ولا شك أن سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخط والشعر والقرآن - وهي فروع التهذيب في ذلك العصر . فتهذب أسامة بموجب النظام الذي كان يتشّف به أشرف العرب في زمانه . ونشأ راوية كاتباً، وأديباً شاعراً

بهذه الصفة الأخيرة - صفة الشاعرية - عرفه معظم الذين ترجموا له . فالذهبي (١٧) يذكر عن لسان أسامة انه قال انه كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي - والراجح انه لم يتّصل بجيل أسامة هذا المقدار من الايات . عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع بأسامه في دمشق يقول في «خريدة القصر وجريدة العصر» (١٨) «أسامة كاسمه، في قوّة ثره ونظمه . . . . حلوا المجالسة، حالي المساجلة، ندي الندي بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة» . ابن عساكر، تلميذ أسامة، ذكر في «التاريخ الكبير» (١٩) بان أسامة «يداً بيضاء في الأدب والكتابة

(١٧) ملحق بـ *Derenbourg, Vie d'Ousāma* (پاريز ١٨٨٥) ص ٥٩٥

(١٨) (پاريز ١٨٨٧) ص ١٢٢

(١٩) (دمشق ١٣٣٠) ٢: ٤٠٠ - ٤٠١

## مقدمة البحر

والشعر» واقتبس عن لسان احدهم قوله ان اُسامة «شاعر اهل  
الدهر، مالك عنان النظم والنثر» وان مقطعاته «أحلى من الشهد  
والذّ من النّوم بعد طول السهر» \* يا قوت في «معجم البلدان»  
(٢٠) اقتبس من اشعار اُسامة \* أبو شامة (٢١) يفيد ان صلاح  
الدين الايوبيّ كان «عنده ديوان الامير مؤيد الدولة اُسامة...»  
وهو به مشغوف، وخاطره على تأمله موقوف، والى استحسانه  
مصروف» \* وصالح بن يحيى (٢٢) يفاخر باقتنائه ديوان شعر  
«عزّ الدين» (كذا) اُسامة بن منقذ بخطه  
وهالك أبيات تدلّ على قوة الإبداع في اُسامة الشاعر قالها في  
ضرس له قلعه:

وصاحب لا أملُ الدَّهرَ صُجْبتهُ

يشقى لِنفعي ويسعى سعيَ مُجْتهدِ

لَمْ ألقه مُدّ تصاحبنا فحين بدا

لناظريّ افترقنا فرقة الأبدِ (٢٣)

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب وكان قد زار المسجد  
قبلاً في طريقه الى الحجّ:

(٢٠) ٤١٧:٢

(٢١) ٢٤٧:١

(٢٢) «تاريخ بيروت» (بيروت ١٩٠٢) ٣٦ - ٣٥

(٢٣) الذهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص ٥٩٦ . قابل ابن عساكر ٤٠٢:٢،

ابن خلكان ١١٢:١، أبو شامة ٢٦٤:١، عماد الدين الكاتب ١٢٣

## كتاب الاعتبار

لك الحمدُ يامولايَ كم لك منةٌ  
عليّ وفضلٌ لا يحيطُ بها شكري  
نزلت بهذا المسجدِ العامِ قافلاً  
من الغزوِ موفورَ النَّصيبِ من الأجرِ  
ومنه رحلتُ العيسُ في عامي الذي  
مضى نحو بيتِ اللهِ والركنِ والحجرِ  
فأدّبتُ مفروضاً وأسقطتُ ثقلَ ما

تحملتُ من وزيرِ المسيئةِ عن ظهري (٢٤)

وأخرى تُعرب عن حنينه لوطنه الشاميّ وعن توق نفسه للرُّجوع  
الى أهله وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل:

دارٌ سكنتُ بها كرهاً وما سكنت

روحي الى شجنٍ فيها ولا سكنٍ

والقبرُ أسترُ لي منها وأجملُ بي

إن صدّني الدهرُ عن عودي الى وطني (٢٥)

واليك ما كتب في مطلع كتاب الى بعض أهله:

شكا ألم الفراقِ النَّاسُ قبلي

ورؤّع بالنَّوى حيٌّ وميت

وأما مثل ما ضمتُ ضلوعي

فاني ما سعتُ وما رأيتُ (٢٦)

شغف أسامة بالكتب يتضح من ملاحظة أبدأها عند ما عادت

أسرته من مصر فوقعت في أيدي الافرنج وخسر الكثير من المال،

(٢٤) ابن الاثير «الدولة الاتابكية» في *Recueil* ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٨

(٢٥) ابن عساكر ٤٠١:٢

(٢٦) ابن خلكان ١١١:١

## مقدمة المحرر

فلم يأسف عليه أسفه على ما فقده من الكتب وعددها أربعة آلاف  
مجلد من الكتب الفاخرة «فان ذهابها» [على ما قال] حزازة في  
قلبي ما عشت» (ادناه ص ٣٥)

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في إيراد نكته كل الإبداع.  
فلو انه عاش اليوم لتأهل لمركز استاذ في إحدى مدارس الصحافة  
التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الماجريات وسرد  
الحوادث. خذ مثلاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الافرنجي  
بازاء الطبيب العربي (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣)، او قصة جزاء  
الامانة (ادناه ص ١٧٨ - ١٨٠)، فان الفن الحديث يكاد يعجز عن  
التحسين عليها

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها.  
وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث  
انفسح له المجال للدرس والتأليف. ولقد ذكر بعضها حاجي خلفه  
في «كشف الظنون» ١ - «كتاب البديع في البديع» ٢ -  
«تاريخ القلاع والحصون» ٣ - «أزهار الانهار» ٤ - «التاريخ  
البلدي» ٥ - «نصيحة الرعاة» ٦ - «التجائر المربحة

## كتاب الاعتبار

والمساعي المنجحة» (٢٧) ٧٠ - «كتاب العصا» (٢٨) ٨٠ -  
«أخبار النساء» ٩٠ - «ديوان أسامة» ١٠٠ - «كتاب التوم  
والاحلام» (ادناه ص ١٨٦) ١١٠ - «كتاب المنازل والاديار»  
(٢٩) ١٢٠ - «كتاب لُباب الآداب» (٣٠) ١٣٠ - «كتاب  
الاعتبار» وهو الذي نحن الآن بصدد

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين الايوبي من  
حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب  
مُرْهَف الذي كان من المقرئين لدى السلطان (٣١) ٠ وأرجع

(٢٧) راجع وصف در نورغ لهذه المخطوطات في *Vie d'Ousāma* ٣٣٠ -

٣٣٨

(٢٨) نشر در نورغ منتخبات منه ومن «ديوان أسامة» بعنوان *Anthologie de  
textes Arabes inédits par Ousāma et sur Ousāma* (پاریز ١٨٩٣)

(٢٩) مخطوطة في المتحف الاسيري في لبنفراد ذكرها الاستاذ اغناطوس

كراتشوقسكي في «مجلة المجمع العلمي العربي» تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥

(٣٠) مخطوطة كتب لي عنها مالکها الدكتور يعقوب صروف قُبل وفاته وعليها

بخط ابن أسامة مُرْهَف ان والده اهداها اليه عام ٥٨٢٠ راجع «المقتطف»

كانون الاول سنة ١٩٠٧ و نيسان سنة ١٩٠٨٠ وربما كانت بخط المؤلف نفسه.

وفي رسالة خصوصية من الشيخ حليل الخالدي بالقدس انه رأى وهو بقونية نسخه

من «كتاب الغريبين» في آخره ما صورته: «وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث

وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة [١١٦٠] بمدينة حمص.

كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى المالكي»

(٣١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة، ابن اخي أسامة، أوفده صلاح

الدين عام ١١٩٠ الى بلاط الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام اسطولهم

لقطع سبيل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم. وكان لأسامة عم

مقرَّب من الخليفة الفاطمي بمصر (انظر ادناه ص ٢٠٨)

## مقدّمة البحرر

له صلاح الدين اقطاعاً كان في الأهل على ما يظهر مُلك أسامة، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً، وتنعم صديقنا بشيء من الرفاه والهناء قبيل وفاته. فأخذ يلقي المحاضرات في البديع، ويدرس في المدرسة الحنفيّة بدمشق. ولكن لاسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين، وربما كانت إقامة أسامة في مصر ولّدت فيه ميلاً للتشيع لحظه صلاح الدين (٣٢) «محيي دولة أمير المؤمنين» (ادناه ص ١٦٤) و«سنة الخلفاء الراشدين» (ادناه ص ١٦٥). ولا نعلم كم طال هذا الجفاء. على ان صالح بن يحيى (٣٣) ذكر أن صلاح الدين ولّى على بيروت «عزّ الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظّمين عند السلطان حتى لم يكن يقدم عليه احداً في المشورة والرأي». وعاد فروى (ص ٣٨) ان عزّ الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيدا خرج من المدينة بجماعته واهله. ويظهر من هذا ومن ابن الاثير (٣٤) انه كان يومئذٍ ببيروت حاكم يُعرف بأسامة ولكنّه

(٣٢) الذهبي ملحق *Vie d'Ousāma* ص ٦٠٢

(٣٣) «تاريخ بيروت» ٣٥ - ٣٦

(٣٤) في *Recueil* ج ٢ جز ١ ص ٨٥

## كتاب الاعتبار

هو غير ابن منقذ • فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧، وابن منقذ  
تُوفي عام ١١٨٨ (٣٥)

بعد ان توقّل اُسامة ذروة التسعين (ادناه ص ١٦٠) وهو في  
دمشق يتفياً في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين، أخذ يطلُّ من  
ذاك العلوّ الشاهق على سابق اختباراتهِ، ويدوّنها - أو يلقنّها -  
بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل (٣٦) - تلك هي  
المذكّرات الخالدة الموسومة « كتاب الاعتبار » • أملاها اُسامة  
وهو يردّد:

اذا كتبتُ فخطّي جدُّ مضطربِ  
كخطِّ مرتعشِ الكفّين مرتعدِ  
فاعجب لضعفِ يدي عن حملها قلماً  
من بعدِ حطمِ القنابي لبّة الأسدِ  
وإن مشيتُ وفي كفي العصا ثقلتُ  
رجلي كأنّي أخوضُ الوحلَ في الجلدِ (٣٧)

ولسان حاله:

(٣٥) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسمتين الاب شيخو محرّر صالح بن يعين فانه في  
حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحدا  
(٣٦) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف اُسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين  
عليه • ادناه ص ١٦٠ - ١٦٦  
(٣٧) ادناه ص ١٦٣ - ١٦٤

مقدمة البحر

قد كنتُ مسعراً حرباً كلما خمدتُ  
أذكيتهما باقتداحِ البيضِ في القُللِ

امّا الآن:

فصرتُ كالغادةِ المكسالِ مضجعتها  
على الحشايا وراءَ السُّجفِ والكللِ  
قد كدتُ أعفنُ من طولِ الثواءِ كما  
يصدّيءُ الهندُ طولُ اللَّبتِ في الخللِ  
أروح بعد دروعِ الحربِ في حُللِ  
من الدَّبِّيقي فبؤساً لي وللحُللِ (٣٨)

بين كتب الأدب العربي سيرٌ عددها غير قليل . منها ما كُتب  
في عصر اُسامة بالذات: كسيرة صلاح الدين الموسومة «الفتح  
القسبي في الفتح القدسي» بقلم عماد الدين الكاتب الاصفهاني،  
وأختها الموسومة «النوادر السلطانية» بقلم القاضي بهاء الدين،  
وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنوتين «كتاب الروضتين  
في اخبار الدّولتين» تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام  
سيرة اُسامة بقلم نفسه . «كتاب الاعتبار» هو اول سيرة في الآداب  
العربية - على ما نعلم - المترجم والمترجم له فيها واحد

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم امثولة أدبية، لذلك  
سمّاه «كتاب الاعتبار» . وأورد موادَّ يُرجى منها ان يُعتبر

## كتاب الاعتبار

القارىء بما حلّ بغيره وان يستفيد لنفسه (ادناه ص ١٦٢) . أمّا العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارىء بحيث لا تُحى فهي «ان ركوب أخطار الحروب لا يُنقص أجل المكتوب . فاني رأيت . . . معتبراً يوضح للشجاع العاقل، والجهان الجاهل، ان العمر موقتٌ مقدّر، لا يتقدّم اجله ولا يتأخّر» (ادناه ص ١٦٢)، وان «الله مقدّر الأقدار، وموقت الآجال والاعمار» (ادناه ص ٦٢)، وانه يجب ان لا «يظنّ ظانّ ان الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر» (ادناه ص ١٦٣)، وان «النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى، لا بترتيب وتديير، ولا بكثرة نفير ولا نصير» (ادناه ص ١٤٧)

ولا ثبات قضيته أتى المؤلف بالقصة تلو القصة . التشابه والمشاركة، واحياناً التناقض والمخالفة، كان السبيل الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القارىء ان الراوي قد رشّ شيئاً من «البهار» على القصة لتحسينها، أو مطّ الواقع قليلاً في الحادث لا شباع داعي الغرضية . أخبار كرامات الأولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص ١٦٩ - ١٨٧) كلها ازدردها أسامة، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك

## مقدمة المحرّر

الدمشقي الشهير ابن خلكان زار تربة أسامة بُعيد وفاته حيث قال  
«ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده  
شيئاً من القرآن وترحمت عليه» (٥٩)

(٥٩) «تاريخ» ١١٢:١ يبيّن «ليل الثلاثاء» لوفاة أسامة وهو مساء الاثنين. كذلك  
يبيّن يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ لولادته، ولكن هذا التاريخ يقع  
الأربعاء. انظر ادناه ص ١٢٤ ح ٧٠



الباب الاول  
حروب واسفار

